

صاحب الجلالة يوجه خطابا الى شعبه
بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب

الرباط — وجه جلالة الملك خطابا هاما إلى شعبه الوفي بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لثورة الملك والشعب.

وهذا هو النص الكامل لخطاب صاحب الجلالة :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

« أوَ مُخرجيَّ هم »؟

« أو مخرجي هم »؟ كانت هي الصيحة التي خرجت من فم النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال له ورقة ابن نوفل « إن قومك سيخرجونك ».

« أو مخرجي هم » وما فيها من بلاغة تجهل البلاغة أو تتجاهلها، « أو مخرجي هم » وما فيها من إنسانية وبشرية، ثم بعد ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : والله لو وضعوا الشّمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك دونه ما تركته.

قولتان، قولة تعطينا ما أحس به النبي صلى الله عليه وسلم من جسامة التضحية وقسوتها، وقولة أخرى تعطينا القدر والحجم اللذين أعطاهما النبي صلى الله عليه وسلم للأمانة : أمانة، تضحية، جهاد، فوز.

وكنت أفكر في هذه المعاني، وحاولت أن أطبقها على تاريخ هذه البلاد منذ أن دخلها الاسلام، فوجدت آية تقول : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ».

وأنت فيهم بأخلاقك، أخلاق المواطن الصالح، وأنت فيهم بفضيلتك كقائد ومخطط وكمرشد، وأنت فيهم بوطنيتك ومدرستك الوطنية.

وتاريخ المغرب أظهر لنا أنه منذ أن دخل إلينا الاسلام، وتخلقنا بخلق النبي صلى الله عليه وسلم وجعلناه كأنه فينا، في أسرتنا، في حكمنا، في مجالسنا، في سلوكنا السياسي، ما دام الله لا يريد ولا يقبل أن يعذبنا.

وهكذا، كلما جاءت نكبة أو مرت بنا مصيبة كانت درسا قبل أن تكون عقوبة، وهذا الدرس علينا أن نجعله دائما نصب أعيننا حتى نخلف لأبنائنا في جملة ما نخلف تلك الأخلاق التي تزين بها النبي صلى الله عليه وسلم كأب، كقائد، كمرشد، كسياسي، كمجاهد، كمحارب « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ».

شعبي العزيز :

في مثل هذا اليوم وقع ما وقع ولست في حاجة الى التذكير، ومنذ وقع ما وقع والمغرب ولله الحمد لا يعرف سكونا ولا جمودا، بل وجد وجودا وسكينة وسكنا.



نعم، كان علينا من جملة ما كان علينا منذ أن رجع محمد الخامس طيب الله ثراه من منفاه، أن نبني المغرب الجديد، فبنيناه رغم ما لقيناه من صعوبات، ورغم ما أتيناه من غلطات، ولكن الخير في الواقع، ونحمد الله سبحانه وتعالى على الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يوجد عليها بلدنا العزيز.

إن علينا شعبي العزيز أن نكون بارين بقسمنا، ففي السنة التي مضت أقسمنا جميعا، مشرعين وناخبين ومنتخبين، أن نكون الأبناء البررة لهذه الدولة، أقسمنا أن نكون المستشارين والوزراء والمعينين والمواطنين الصالحين لهذا الوطن، أقسمنا أن نعمل صباح مساء على تخطيط السياسة محلية كانت أو جهوية أو وطنية، أخذنا على عاتقنا أن نسهم بما آتانا الدستور كل في دائرته، أن نساهم في بناء المغرب الجديد، وإننا ونحن على عتبة الدخول البرلماني نريد أن نهيب بكم أن تستعدوا منذ الآن ناخبين ومنتخبين، لتخطيط السياسة الاجتماعية والمالية والاقتصادية لبلدنا لمدة سنة، واعلموا وفقكم الله يا أبنائي أن التخطيط لسنة في العصر الذي نعيش فيه إذا كان منحرفا وغير محكم فمن شأنه أن يجر على بلدنا أقبح النتائج لمدة سنوات، إننا مقبلون على تخطيط ثلاثي على خطة أدبية وإدارية، أدبية، علينا جميعا أن نفهم لماذا وضعنا التخطيط الثلاثي، علينا جميعا أن نعرف من وضعه، ومن كتبه ومن سطره ومن جسده أرقاما، ومن سمعه وفهمه ومن كلف بتطبيق بعض مقتضياته، ريثما يقول البرلمان كلمته في هذا الموضوع.

إنني أحس أن بعض الناس لم يصلوا الى الآن للفهم العميق لما أردناه من خطتنا الثلاثية، ربما اعتقدوا أنها كانت عملية سياسية أو ستراتيجية، أو ربما لم يعطوها الثقل والوزن والحجم الذي نريده لها، فإنني أناشد الله الجميع أحزابا كانوا أو هيئات، أفرادا أو جماعات، أن يكونوا متأهبين مستعدين ابتداء من خروج شهر رمضان للتفكير لمن عليه أن يفكر، للتنظيم لمن عليه أن ينظم، للتخطيط لمن عليه أن يخطط.

إن القلب الغيور لتأكله النار أكلا إذا ما رأى أن الوسائل موجودة، والأدمغة متوفرة، والأنظمة قابلة، والمعطيات الدستورية مستعدة، فيرى بيتا هائلا جميلا من أجمل البيوت لأحسن الشعوب، وأقول لأحسن الشعوب ان القلب لتأكله الغيرة وتحرقه شبرا شبرا إذا ما أحس أن الجميع ليس في مستوى المسيرة التي قررنا أن نسير ببلدنا فيها، مسيرة تقتضي منا جهدا متواصلا، لأن مشاكلنا ليست مشاكل داخلية فقط، بل مشاكلنا تحيط بها وتحيط بها بكيفية قريبة جدا كالساق بالساق مشاكل خارجية، هي بنفسها وليدة لمشاكل أخرى.

فإذا نحن وجدنا أنفسنا ملزمين بمواجهة المشاكل الخارجية والتي ليست في مستوى البلد ولا البلدين ولا في مستوى حتى الجهة إذا ما نحن أردنا أن نواجه هذه المشاكل ولم نكن متأهلين في الداخل من ناحية اقتصادنا، من ناحية ميزانيتنا، ومن ناحية ادمغتنا، أقول لكم : أن تضحية عشرين سنة سوف تذهب سدى، وأن ما عودنا الله من جميل، من شأنه أن ينعكس علينا بما لا تحمد عقباه.

قلت لك شعبي العزيز، أن الأحداث تسير بسرعة وما كنا نظن منذ شهر مضى أن أحداثا مهمة ستجري بجارتنا وأختنا موريتانيا، وكلكم يعلم انعكاسات تلك المشاكل على بلدنا وعلى وطننا، فعلينا إذن زيادة على القيام بالواجب نحو بلدنا أن نكون قادرين على القيام بما التزمنا به نحو جارتنا وحليفتنا وصديقتنا، فقد التزم المغرب لموريتانيا بقطع النظر عن حكامها لأن المسألة مسألة داخلية، التزم المغرب لموريتانيا أن يكون حليفا لها، معنى هذا أن يقاسمها السراء والضراء تلك الضراء التي ليست كلمة فارغة، تلك الضراء التي تتجسم في مال يدفع في أساتذة ترسل، في أطباء، في ديبلوماسية متحركة، في جيش واقف متأهب، واقف دائما لاعانة حليفتنا والوقوف بجانبها.

قيل الكثير وقيل الكثير، ولو لم تكن فرصة عشرين غشت، شعبي العزيز، لكنت خاطبتك في موضوع موريتانيا والمصير الموريتاني، ذلك أنني ولله الحمد كعادتي وعادتك، بيننا روابط وصلات لا ترى، ولكن هي موجودة وأنا أشعر صباح مساء على أن بالك مشغول وفؤادك مروع فيما يخص هذه المشكلة، أريد قبل كل شيء، شعبي العزيز، أن أقول ما أعرف، لن أخفي عليك شيئا، أقول لك ما أعلم : إنني أعرف وأعلم، لأنه قيل لي وكتب رسميا من طرف المسؤولين الموريتانيين، أن موريتانيا ما زالت متشبثة بعهودها ومعاهداتها بالنسبة للمغرب.

أقول لك شعبي العزيز، أن المسؤولين الموريتانيين لا ينوون تقديم رجل أو تأخير أخرى إلا باستشارة وتنسيق تام مع المغرب، إذن من هذه الناحية شعبي العزيز، عليك أن تطمئن، ولكن علينا أن لا نقف أمام هذا، علينا أن نسير شيئا ما بتفكيرنا ومنطقنا، ما هو واقع في المغرب ليس هو ما هو واقع في موريتانيا، موريتانيا لها مشاكلها بالنسبة للصحراء التي استرجعتها وبالنسبة للمعارضين الذين دخلوا في صفوف البوليساريو، نحن بالنسبة للمغرب ليست لنا هاته المشكلة، فعلينا إذن إذا اختارت موريتانيا طريقا من الطرق أن نكون بجانبها شريطة — وهذا شيء يعرفه الخاص والعام — أن لا يكون حل مشاكلها يمس بنقطة من النقطتين الآتيتين :

1 — ألا يمس بشبر من الأرض المغربية.
2 — وأن لا يجعل حدودا أجنبية بين المغرب وموريتانيا.

بكيفية أدق وأفصح : المغرب لا مشكل له، لا يطالب بشيء، ولا يمكن أن يعطي أي شيء، ولكن هو في داخل هذا النطاق مع موريتانيا أينما أرادت أن تسير، المغرب له حدود مع موريتانيا لا يريد أن تفصله حدود غير الحدود الموريتانية المغربية عن موريتانيا، بحيث موقفنا واضح وأوضحناه لاخواننا الموريتانيين وأوضحناه لوزرائنا وضباطنا، وأوضحناه لبعض الأصدقاء من رؤساء الدول، كان علينا أن نوضحه لك شعبي العزيز، ونوضحه للعالم بواسطة هذه الشاشة، وبواسطة الاذاعة.

إنني أقول لاخواني في موريتانيا : إياكم ثم إياكم أن تنطلي عليكم الحيلة، فالذين يتوددون الآن لكم هم الذين خلقوا ومولوا ودربوا وسلحوا من كانوا بالأمس يقتلون أولادكم وأبناءكم ولا يحترمون أعراضكم.

الآن وأنتم تعرفون، لكم حرية الاختيار، لأن موريتانيا دولة ذات سيادة ودولة ذات استقلال، ولكن إن اقتضت الظروف — لا أقول موريتانيا — أن يلصق بجنوب المغرب نظام مخالف في مذهبه وفي فلسفته للنظام المغربي وللنظام الموريتاني، فهذا شيء لا يمكن أن تقبله موريتانيا ولا المغرب، وإذ ذاك ستجد الدولتان نفسيهما ملزمتين بحكم ما بينهما من معاهدات بالقيام بما عليهما من واجبات، ومع هذا نحن لا نريد إلا السلم في هذه المنطقة.

ونريد أن نرد على دولتين لم تقفا بجانب المغرب دائما بما كان منتظرا منهما من موقف النزاهة وحتى موقف الانسان الذي لا يريد التناقض مع نفسه، فنقول للأولى وهي البعيدة عنا والتي ما زال رئيسها يدين للرئيس عبد الناصر رحمه الله بالتقدير، نقول له : كنت آنذاك وليا للعهد في سنة ألف وتسعمئة وست وخمسين حينما ألقى الرئيس عبد الناصر خطابه بتأميم القناة وكنت إذ ذاك لابسا اللباس العسكري ممثلا لوالدي رحمة الله عليه، وممثلا للقوات المسلحة الملكية، وقال إذ ذاك عبد الناصر الكلمة الآتية وكررها سبع مرات : « نحن نحارب من يحاربنا ونسالم من يسالمنا ».

فعليك أنت الذي نصبت نفسك خليفة ووليا لعهد عبد الناصر أن تتبع على الأقل هذا المبدأ وتفهم أن المغرب من واجبه كذلك أن يسالم من يسالمه، وأن يحارب من يحاربه.

وأقول للدولة الثانية : مرارا سمعت رئيسك يقول : « بلادي في راحة وسعة في حدودها » وحتى أنا كذلك بلادي في راحة وسعة في حدودها، فلا يجرأنَّ أحد عليها، لأن بلادي تحب الراحة وتحب الاطمئنان ولكن فيما إذا وقع ما وقع فستتخذ بلادي ما ستتخذ.

كلماتي هاته ليست تهديدا أبدا، وإن تربيتي وأخلاقي تمنعني من التهديد، لا، لا يمكنني أبدا أن أهدد رئيس دولة كيفما كان، بل من حقي أن اذكره أن ما يجري على المثل يجري على المماثل، هذه قاعدة منطقية، أنت تحب أن تسالم من يسالمك وتحارب من يحاربك، طيب، هذه قاعدة تجري عليك وتجري علي، وأنت تجد نفسك في راحة وسعة داخل حدودك، فإذا كنا مؤمنين حقيقة علينا أن نطبق هذا الحديث : « لا يومن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ».

إذن شعبي العزيز، عشرون غشت التي نحن فيها ليست كالتي سبقت من مثل هذه الاحتفالات بذكرى عشرين غشت، أعتقد شخصيا أن عشرين غشت ألف وتسعمئة وثمانية وسبعين هي عشرون غشت المسؤولية، هي ذكرى المسؤولية هي الوعي، نعم العبء ثقيل ولا يعلم هذا بعد الله إلا خديمكم هذا، لأنه منذ ما يفوق العشرين سنة والعبء على كتفي جزئيا قبل موت والدي رحمة الله عليه وكليا بعدما التحق بالرفيق الأعلى، ولكن كيفما كان ثقل الحمل، كيفما كان حجم المسؤولية، علينا أن نكون منطقيين مع أنفسنا حينما يولد المغربي ويبلغ سن الرشد ويذهب لتعطى له بطاقة المواطنة ويقبل ذلك المغربي أن يكتب عليها : أنت مغربي، إذ ذاك وبكيفية منطقية تاريخية سلالية لا مذاكرة فيها، عليه أن يعلم أنه ابتداء من ذلك اليوم يصبح وارثا للتاريخ أقولها بتواضع ولكن أقولها بكل ما في الكلمة من خطورة، كل مغربي مغربي اتجه الى صاحب أوراق الحالة المدنية وطلب منه ورقة التعريف فكتب عليها : فلان جنسيته مغربية، وقبل ذلك الرجل أن يكون مغربيا فمن باب تحصيل الحاصل أن يصبح ذلك الرجل وارثا للتاريخ، فإذا كان العلماء ورثة الأنبياء فالمغاربة ورثة التاريخ، فلنكن إذن في مستوى ما كتبه آباؤنا من تاريخ وما كتبه أجدادنا من تاريخ وما نكتبه نحن من تاريخ، وليكن في تسطيرنا للتاريخ مدرسة مستمرة حية لمن سيتبعنا ولمن سيخلفنا، ولنعلم أن الدخول دخول أكتوبر السياسي والبرلماني والاقتصادي هو بمثابة خمسين أو ستين في المئة بالنسبة لانجاح مخططاتنا في السياسة الداخلية والخارجية، وأربعين في المئة لأن يكون حاجزا وسورا مانعا لكل من أراد أن يحيط بنا المؤامرات والأغراض.

شعبي العزيز :

مناسبة كهذه التي أخاطبك فيها تقتضي شيئا ما من الحزم في المحافظة لأن الموقف ذو جلال، ولأننا نكرم أناسا وأشخاصا وأجيالا ضحوا بحياتهم وراحتهم وبأبنائهم في سبيل إعلاء كلمة بلدهم، فعلينا حتى فيما نقول وحتى بالكيفية التي نقول بها أن يشعر الجميع أن الوقت وقت جلال، وأن المغاربة والمغرب عليهما أن يكونوا ابتداء من الآن واعين تمام الوعي مستعدين تمام الاستعداد مطمئنين، لأن الوعي والاستعداد لا يكونان مجديين إلا إذا كانا في الاطمئنان، أما إذا كانا في الفتنة والهرج والبلبلة فلا ينفع ذلك.

سقف بيتي حديد ركن بيتي حجر

منذ سنين وأنت تسمعني أردد هذا البيت، ولكن داخل بيتي الذي سقفه حديد وركنه حجر، هناك



من يسكنونه مطمئنين لأنهم على حق، مومنين لأنهم يعرفون ماضيهم، ومؤمنون بمستقبلها، مطمئنين لأنهم آتاهم الله سبحانه وتعالى الطمأنينة التي لا يعرفها ولا يشعر بها رغم ما يمر به من الهواجس ومن التخوفات الا من ربط مستقبله ومصيره بربه سبحانه وتعالى.

وقبل الختام أريد أن أترحم على أرواح الشهداء من مقاومين وأفراد جيش التحرير الذين لقوا حتفهم في المدة التي كان محمد الخامس في المنفى وأن نترحم كذلك حتى على الذين ضحوا بحياتهم وحرياتهم، ولو لم يكونوا منخرطين في منظمة أو في هيأة، ونريد كذلك أن نترحم على صاحب نداء القاهرة ذلك الذي في يومه وفي الوقت المناسب، قال للعالم : وكان ترجمانا على المغرب، لأن المغرب إذ ذاك كان في قفص، وكان منعدم الحرية، أظهر المغرب ونشكره على هذا، أظهر المغرب إذ ذاك في حلته الحقيقية، وأظهره على شكله الحقيقي، كما أترحم على شيخنا وأستاذنا وأبينا جميعا، من ربانا تربية سياسية فأحسن تربيتنا، راجين منه كذلك بدعواته وبرضاه أن يكون دائما ملهما لنا، في حلنا وترحالنا في سكوننا وفي حركاتنا، حتى يمكننا رغم قلة الوسائل وصعوبة الظروف أن نقوم بالواجب على الوجه المهرف منفردين ومجتمعين وعلى وجه من هو وارث للتاريخ. أقولها مرة أخرى بتواضع، ولكن أقولها بعز وفخار : المغاربة ورثة التاريخ.

اللهم اهدنا سواء السبيل، اللهم اجعل في قلوبنا حماسة الصحابة، واجعل في قلوبنا تواضع الأولياء، وثبت أقدامنا على الحق واملأ قلبنا ونفسنا بالتحسيم الحقيقي لما ينتظرنا من مسؤوليات داخلية وخارجية، إنك سميع الدعاء.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الأحد 15 رمضان 1398 — 20 غشت 1978